مجلة العلوم العربية والإنسانية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٣)، ص ص ١٢٥٥-١٣٠٠، (رجب ١٤٤١هـ/ فبراير ٢٠٢٠)

منهج الباقلاني في دراسة الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم من خلال كتابه (إعجاز القرآن)

د. النوراني عبد الكريم كبور جبير
أستاذ الأدب والنقد والبلاغة المشارك في قسم اللغة العربية وآدابها
كلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية -جامعة القصيم ـ السعودية

ملخص البحث:

يهدف هذا البحث إلى استجلاء منهج الباقلاني في توظيف الدرس البلاغي في دراسة بلاغة القرآن، وبيان أسلوبه في كشف الإعجاز البلاغي من خلال نماذجه التطبيقية، ونقاشه الموضوعي، واستدلالاته العقلية، وغيرها من البراهين التي ساقها في هذا المجال. وعمل البحث على معالجة منهج الباقلاني في دراسته للإعجاز البلاغي للقرآن.

ويتساءل البحث: هل كان منهج الباقلاني منهجاً علمياً أفضى به إلى نتائج لها قيمتها في هذا الجانب، وهل حقق ما كان يصبو إليه من إثبات مسألة الإعجاز البلاغي، والرد على الذين يثيرون الشبهات حول القرآن وإعجازه؟ واتبع الباحث المنهج الوصفي الاستقرائي، والتحليلي، وقسّم البحث إلى مباحث حسب حاجة الدراسة، واعتمد على المصادر والمراجع ذات الصلة بموضوع البحث، قد أشار إليها في موضعها في نهاية الدراسة.

الكلمات المفتاحية: الباقلاني/ الإعجاز/ إعجاز القرآن.

مقدمة

أشار العديد من العلماء إلى أنّ الإعجاز القرآني متعدد الأنواع[١]، فمنه ما يتعلق بالأخبار الغيبية، أو بالتشريع المحكم الشامل لحياة البشرية وصلاحيته لكل زمان ومكان، ومنه الإخبار بالأمور الماضية والأمم البائدة، ومنه الإعجاز العلمي، والإعجاز البلاغي.

وبما أنّ كل هذه المعجزات هي قولية، مسجلة في القرآن الكريم، وتضمنها نظمه العجيب؛ فإن المعجزة البلاغية هي معجزة في ذاتها، ووسيلة للتعبير عن المعجزات الأخرى؛ فالنظم القرآني وما اشتمل عليها من البلاغة هو الوعاء الجامع للمعجزة الخالدة التي تحدّث العرب ومَن بعدهم إلى يوم الدين.

والوقوف على الإعجاز البلاغي واستيعابه يهيئ ويعين على إدراك المعاني والمرامي التي تقود إلى الوقوف على بقية محاور الإعجاز القرآني، وهذه المعجزة البلاغية متجددة؛ تجعل من القرآن صالحا لكل وقت، لا يعتريه البلى والجمود؛ فالقوالب التعبيرية في القرآن حيّة، مرنة يجد فيها العلماء – بالبحث والنظر – ما يعينهم على إصدار التشريعات، والأحكام، والاجتهاد، وكل ما من شأنه أن يحقق للبشرية السعادة، والاستقرار، والرضا.

والوقوف على الإعجاز البلاغي لا يتفق لكل إنسان، وإنما يقع لمن رُزق الحس المرهف، والفطرة السليمة في تذوق البلاغة وفهمها، يقول الباقلاني: "... فأما من كان قد تناهى في معرفة اللسان العربي، وقف على طرقها ومذاهبها؛ فهو يعرف

(١) المعجزة والإعجاز في القرآن الكريم، د. سعدالدين السيد صالح، دار المعارف، مصر، بدون تاريخ، ص:٤٨.

القدر الذي ينتهي إليه وسع المتكلم من الفصاحة، ويعرف ما يخرج عن الوسع، ويتجاوز حدود القدرة؛ فليس يخفى عليه إعجاز القرآن ..."(١).

إذاً معرفة الإعجاز البلاغي في القرآن صناعة تحتاج إلى عدّة، وبصيرة، وخبرة نابعة عن التمرس بالأساليب البلاغية، والاشتغال بهذا العلم الجليل؛ فالبلاغة من العلوم الإنسانية الرفيعة، بل قل من العلوم الشرعية التي تمكّن الإنسان من معرفة القرآن على بصيرة؛ فيزداد يقيناً، وتقديساً، والناس أعداء ما جهلوا، وجلّ الباحثين في هذا المجال منصرفين إلى ميادين الإعجاز

العلمي، ملتمسين الإعجاز القرآني في كل ما يتوصل إليه العلماء من اكتشافات، ونظريات علمية، وكونية، بينما ميدان البحث البلاغي يخلو – تقريبا – من الباحثين، وكأنما اكتفى الناس بما قدّمه السلف من دراسات، ولعل الحملة الشعواء التي تعرضتْ لها اللغة العربية قد أفلحت في إبعاد العرب عن لغتهم فقلّ من يرتاد آفاق البحث اللغوي عامة، والبلاغي خاصة وذلك لما لعلوم العربية من أهمية في مجال الدراسات القرآنية.

والوقوف على أسرار الإعجاز البلاغي يستدعي إلماماً عميقاً بعلوم البلاغة، ومعرفة دقائقها ليتسنى للباحث التنقيب عن تلك اللطائف والأسرار عن وعي وإدراك، ودراسة البلاغة القرآنية مدخل لفهم سائر أوجه الإعجاز، وإنكار الإعجاز البلاغي – عند من ينكره – لا يكون إلا لقصور فهم، وضعف إدراك، وهذا لا يقدح في حقيقة الأمر بقدر ما يقدح في مقدرة المنكر على الاستيعاب، وعلى النظر بعين البصيرة.

---

(١) إعجاز القرآن، أبوبكر الباقلاني، عالم الكتب، بيروت، (ط١)، ١٩٨٨م، ص:١١٨.

المبحث الأول: الموازنة بين بلاغة القرآن وبلاغة البشر

اعتمد الباقلاني في دراسته للإعجاز البلاغي على منهج مباينة نظم القرآن لسائر كلام فصحاء العرب، ومتقدميهم في مجال الشعر، والنثر، ويقول: " وقد بينا في الجملة مباينة أسلوب نظم القرآن جميع الأساليب، ومزيته عليها في النظم والترتيب..."[١].

والشعر أرفع مقامات تجليات بلاغة البشر، خاصة الشعراء المشهود لهم بالتفوق في هذه الصنعة؛ فيوازن الباقلاني بين نظم القرآن، ونظم البشر الذي يقع فيه التفاوت، والضعف، والتهافت، والقصور عن الإيضاح؛ فلا يقدر على الانتقال من قصة إلى قصة، أو من فصل إلى فصل فيقع في الوصل، ويستصعب عليه مواضعهما، وفوق هذا وذاك لا يمكنه أن يصل بتلك القصص الهشة إلى مواعظ زاخرة، أو أمثالاً سائرة، وحكمة جليلة، وأدلّة على التوحيد، وكلمات في التنزيه والتحميد شريفة[٢].

ونظم البشر مهما علا فدون نظم القرآن بمراحل بعيدة، ولولا أن الأمر في سياق الاستدلال على الإعجاز البلاغي للقرآن لما جازت هذه الموازنة، وبما أن التحدي بإعجازه قد وقع للبشر والخلق أجمعين؛ فإن واحدا منهم لم يجرؤ على مجاراته، غير أنّ بعض مثيري الشبهات في حاجة إلى الردع، كما أنّ العرب كانت قد بلغت درجة في البلاغة حتى افتتنوا بها، وظنوا أنهم قادرون على الظهور على كل متحدث بارع، ولكن متى تأمل الإنسان شعر المجيدين وجد تفاوتا، واختلافا عظيما[٣]، بينما نجد في القرآن مراعاة فائقة الدقة للفصل والوصل، وفواتح الفقرات،

---

(١) إعجاز القرآن، ص: ٢٠٤.

(٢) المصدر السابق، ص: ١٨٥.

(٣) المصدر السابق، والصفحة.

وشدة التلاؤم، والاتساق، وأورد الباقلاني مثالا لذلك وهو قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾[١]؛ ففي كل آية فاتحة، وفصل، ومعنى تسلمك إلى الاخرى في بيان وإيضاح، ثم وصل ذلك بقوله تعالى: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾﴾[٢].

ولعلّ من أجلّ ملامح بلاغة القرآن: روعة النظم القائم على اختيار اللفظة، وسبك العبارة، واستيفاء المعنى، والتصوير الفني؛ فالنظم القرآني يغذي العقل والوجدان معاً، بفيض من المعاني والصور؛ فيحرك المشاعر، ويغذي العقل والفؤاد، والأعجب أنه جاء في جميعها على درجة عالية من الاتساق والإبانة كما وصفه الله عزّ وجل: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾[٣]، وهو متماثل لا تفاوت فيه ولا خلل، ﴿ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾[٤] وهو متشابه لا اختلاف فيه رغم تعدد معانيه، واختلاف موضوعاته، ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ﴿٢٣﴾﴾[٥]، وفوق كل ذلك هو فصيح مبين ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾[٦].

---

(١) سورة الشعراء، الآيات: ١٩٢-١٩٥.

(٢) سورة الشعراء، الآيات: ٢١٤-٢١٥.

(٣) سورة النساء، الآية: ٨٢.

(٤) سورة الزمر، الآية: ٢٨.

(٥) سورة الزمر، الآية: ٢٣.

(٦) سورة الشعراء: الآية: ١٩٥.

وكلام البشر يأتي هجيناً، مهما سمتْ بلاغته، ودقّ أسلوبه. ومن هنا فإن هذه المباينة الواضحة هي إحدى أعمدة الإعجاز البلاغي في القرآن العظيم؛ فنظمه وتركيبه على أتم وجه وأبلغه، يقول الباقلاني: "وغيره من الكلام كثير مستهجن، ويطلع عليك بوجه الحسناء، ثم يعرض للهجر بخد القبيحة الشوهاء، ويأتيك باللفظة المتنكرة بين الكلمات التي هي كاللآلئ والزهر"(١).

والتفاوت في الأساليب البلاغية سمة في كلام البشر، أما القرآن فلا تفاوت فيه ولا اختلاف؛ تأتي الجملة فيه متماسكة شكلاً ومضموناً، جارية على قوانين اللغة وقواعدها من فصل ووصل، وخبر وإنشاء، وملاءمة بين لفظ ومعنى، إلى غير ذلك دلائل البلاغة المعجزة، ويذهب الباقلاني إلى أنّ النظم القرآني تطّرد فيه التراكيب البليغة في الابتداء، والخروج، والفواصل، وما يقع بين الفاتحة والخاتمة، والواسطة(٢).

وقد أورد الباقلاني نماذج كثيرة لبعض شعراء العرب الكبار المشهورين، أمثال: أمرئي القيس، والبحتري، والأعشى، وزهير، والطرماح، وأبي نواس، ويرى أنهم على الرغم من تقدم أساليبهم، ونبوغهم في الشعر إلا أن تلك الأساليب لا تداني بلاغة القرآن الكريم، ولا تصلح لمقارنتها به؛ فهي قد تتقارب وتتماثل فيما بينها، ولكنها – ولو اجتمعت – لا تقترب من بلاغة القرآن وبديع نظمه، ويقول: " وكذلك أبو نواس، وإنما يعدل شعره بشعر أشكاله، ويقابل كلامه بكلام أضرابه من أهل عصره، وإنما يقع بينهم التباين اليسير، والتفاوت القليل، فأما أن يظن ظان، أو يتوهم متوهم أن جنس الشعر معارض لنظم القرآن فكأنما خرَّ من السماء فتخطفه الطير"(٣).

---

(١) إعجاز القرآن، ص: ١٩٧.

(٢) المصدر السابق، ص: ١٩٩.

(٣) إعجاز القرآن، ص: ٢٠٤.

وللشعراء أخطاء أسلوبية، وفنية كثيرة، لا يدركها سوى الضالعون من ذوي الموهبة، والذوق، الملمين بأسرار البلاغة ودقائقها، وقد وقف الباقلاني عليها فيما استعرضه من أشعار أمرائهم المتقنين للشعر وصناعته، وحصرها في: انقطاع معاني الأبيات عن بعضها في سياق النص، وتكرار الصور والتشبيهات، وكثرة الحشو والاستطراد بلا طائل، والتكلف، والكزازة، وإيراد الألفاظ التي لا تتميز بالعذوبة، والرشاقة، وسوء التصوير، وسقم الخيال، وضعف التأليف، وزيادة الألفاظ على المعاني، ونحو ذلك. وكل تلك مسائل بلاغية دقيقة، غفل عنها الشعراء، وأقعدهم ضعفهم البشري عن بلوغ غاية التجويد، وتحقيق السلامة اللغوية التي تجعل كلامهم في منتهى البلاغة والإتقان، وقد أتى الباقلاني بنماذج عديدة، حللها تحليلاً أدبيا بلاغياً قوياً، ليبين البون الشاسع بين بلاغة القرآن، وبلاغة بلغاء البشر ممن شهد لهم الجميع بالتفوق في مجال نظم الشعر.

وقد خلص الباقلاني إلى استحالة معارضة البشر للقرآن، وذلك لضعف مقدرتهم البلاغية مع توفر الدواعي التي تحملهم على معارضته من الناحية البلاغية، يقول: " فلو كان في مقدور البشر معارضة القرآن لهذا الغرض وحده لكثرت المعارضات، ودامت المنافسات؛ فكيف وهناك دواع لا انتهاء لها، وجوانب لا حد لكثرتها؛ لأنهم لو كانوا عارضوه لتوصلوا إلى تكذيبه، وإلى قطع المحامين عنه، أو تنفيرهم عليه، وإدخال الشبهات على قلوبهم"(١).

هناك دواع ومسوغات كثيرة تحمل العرب على معارضة القرآن منها: الانتصار لعقيدة آبائهم التي توارثوها ويعتزون بها، وتكذيب المصطفى -ﷺ-، وإقامة الحجة على أصحابه واتباعه فينفضوا عنه، ويغمدون سيوفهم عنه، وكفَوا

(١) الصدر السابق، والصفحة.

أنفسهم مؤونة الحرب وويلات القتال، و لسلموا من القتل والأسر والسبي، وسلب الأموال والممتلكات، و لظلّوا على وحدتهم ينعمون بما كانوا عليه من عادات وتقاليد، وممارسات نشأوا عليها، وأشرب حبها قلوبهم، ولكنهم عجزوا حين أقعدتهم ضعف أساليبهم البلاغية عن النهوض لمجاراة بلاغة القرآن، وفي الحقيقة إن بلاغة العرب لم ترتق إلا حين أقبلت تقتبس من بلاغة القرآن.

وعليه فقد عمد الباقلاني إلى الموازنة بين القرآن وكلام البشر لإظهار المباينة الواضحة بين الأسلوبين من الناحية البلاغية فكانت تلك الموازنة مرتكزاً لتحديد الإعجاز البلاغي مشيراً إلى خصائص النظم القرآني البديع التي باتت أساساً مهماً في بناء المنهج البلاغي، ومعيارا يقاس به هذا العلم، كما وقف على عيوب القول وآفاته عندما تناول بلاغة البشر من خلال الفنون القولية التي برعوا فيها.

والباقلاني بعد موازنته الدقيقة، وقراءته الواعية لألوان البيان العربي، وتعمقه في آيات القرآن الكريم كشف عن سر تميز بلاغة القرآن، وعلوه، منها: الجزالة، والرصانة، والائتلاف، والاتساق، ومراعاة الفصل والوصل، والفصاحة، والسهولة، وغيرها من المسائل التي تدخل في صميم الدرس البلاغي، وأوضح كذلك سر تخلف البلاغة البشرية لأرباب القول وسدنته منها: الهجنة، والضعف، والتكرار، والاختلاف وغيرها من عيوب البلاغة، وأكد أنها لا تقع في القرآن البتة.

وعجز العرب عن معارضة القرآن يمثل دعامة في التفكير البلاغي عند الباقلاني؛ فالرجل يربط بين الخلل في مقدرة البشر البلاغية وعلو بلاغة القرآن من ناحية، وانصرافهم عن المعارضة مع توفر الدواعي، وشدة حاجتهم إلى تلك المعارضة، وانطلق يبين الخلل الواقع في بلاغة العرب مستعرضاً كثيراً من الأمثلة محللاً

إياها تحليلاً نقدياً بلاغياً لم تخل من تهكم وسخرية، ولكنها في نهاية الأمر أسست لبعض المباحث في علم البلاغة.

المبحث الثاني: التدليل على الإعجاز البلاغي في القرآن

اهتمّ الباقلاني بالتدليل على أنّ البلاغة تمثل وجها من الإعجاز في القرآن الكريم؛ فناقش هذه المسألة نقاشاً مستفيضاً من كل وجوهها؛ فلم يترك مصالاً لصائل، وكان يهدف إلى الردّ على أهل البدع والتشكيك، وقد أثبت أن البلاغة من الإعجاز القرآني، ولا مجال لإنكاره، وهذا – بلا شك – ينعكس على عظمة البلاغة، وعظمة العربية التي استطاعت بمكوناتها البلاغية أنَّ تمثل إعجازاً فريداً. ويضع الباقلاني بذلك اللبنة الصالحة لاستعراض الشواهد البلاغية، والمباحث البلاغية التي تدل على الإعجاز، والتي ترمز إلى أهمية هذا الفن، واتساعه للإعجاز الإلهي البديع، ولولا هذه الأنواع لذهب رونق العربية وبريقها.

ولغة تتفتح فيها أزاهير البلاغة، وتشمخ فروعها مخضرة الخمائل، هي لغة جديرة بأن تكون لغة إعجاز، ولغة دين ودولة، وأدب وعلم، وما ساقة الباقلاني من مباحث وشواهد بلاغية يلقي في روع المتلقي أهمية هذا الفن، وجلاله؛ فينقاد – طائعاً مختاراً – إلى الغوص في بحاره، والتملؤ من نميره التماساً لفهم الكتاب العزيز.

واللغات العظيمة تضم علوماً وفنوناً عظيمة، واللغة العربية قد نالت من الانتقاص، ومحاولة محوها لا لشيء سوى لأنها لغة إعجاز باهر، ولم تزدرَ وتُوصف في بعض وجوه فنونها بالأغلال، أو أنها دليل الانحطاط إلا لجلالها، وعظيم خطرها في بيان الإعجاز القرآني.

والإعجاز وإن كان واقعاً في جنس البلاغة إلا أن هناك فنوناً تمثل جوانب منه، وقد حرص الباقلاني على ذكرها، منها:

١/ الفصل[١] والوصل[٢]: وبرهن من خلال ذلك أن القرآن متشابه لا تفاوت فيه ولا اختلاف؛ فتراكيبه جاءت محكمة الصياغة من حيث مراعاة الفصل والوصل خاصة. والفصل والوصل مبحث جليل من مباحث علم المعاني، وقد أشار الباقلاني إلى أنّ فصحاء البشر يقعون في خلل واضح في مراعاة الفصل والوصل في كلامهم، يقول: "إن كلان الفصحاء يتفاوت تفاوتا بيّنا في الفصل والوصل ..."[٣] وهذا دليل على إعجاز القرآن وأنه ليس من كلام البشر.

٢/ الاستعارة[٤]: مضى الباقلاني يبرز ملاحة الاستعارة، وجمالها في خضم الكثير من نماذج الاستعارات عند العرب، وهو يدلل بذلك على أنَّ أسلوب القرآن لم يخرج عن أساليب الفنون التعبيرية عند العرب ومع ذلك أعجزهم عن معارضته، يقول: "وذلك من الاستعارة المليحة، ويجعلون من هذا القبيل ما قدمنا ذكره من القرآن..."[٥]، وأورد قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا﴾[٦]، وقوله: ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾[٧]. ودلل بهما على أنَّ الاستعارة من الإعجاز؛ فالقرآن لم يصطنع فنّاً بلاغياً مغايراً لفنون العرب وسننها في

---

(١) أنظر: كتاب الصناعتين، أبو هلال العسكري، تحقيق: عادل محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، سنة: ١٣٧١هـ-١٩٥٢م، ص: ٤٣٨.

(٢) أنظر: مفتاح العلوم، أبو يعقوب يوسف السكاكي، القاهرة، سنة: ١٣٥٦هـ-١٩٣٧م، ص: ١٢٠.

(٣) إعجاز القرآن، ص: ٥٦.

(٤) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمد رشيد رضا، (ط٥)، القاهرة، سنة: ١٣٧٢هـ، ص: ٢٣٢-٢٣٣.

(٥) إعجاز القرآن، ص: ٨٩.

(٦) سورة مريم، الآية: ٤.

(٧) سورة الإسراء، الآية: ٢٤.

كلامها، بل جاء أسلوبه في هذه الناحية موافقاً لها ومتفوقاً عليها بتأليفه البديع، وأسلوبه المعجز.

ويسهب الباقلاني في إيراد نماذج من الاستعارات البديعة في كلام العرب على اختلافه؛ وما أُثر عن أعلام الشعراء باعتبار أشعارهم نماذج عليا تحتذى، وأورد كلاماً للنبي -ﷺ- الذي أُعطي جوامع الكلم، وهو أفصح العرب بيد أنه من قريش، ويرمي من ذلك إلى معالجة قضية الإعجاز البلاغي؛ فدلّ على إعجاز القرآن من جهة كونه جارياً على أساليب العرب، مبايناً لها في النظم؛ فالاستعارة في القرآن تأتي بديعة، تجسّد المعنى، وتعزّز الفكرة؛ فيدركها الحس، ويتملّاها الشعور؛ فيتحرك الخيال ليغذي الفكر والفهم، والقرآن يخاطب العقل والشعور معاً؛ فيجد العقل ما يفهمه، ويجد الوجدان ما يشبعه؛ فالعقل يستوعب، والحس ينفعل؛ فلا يطغى أحدهما على الآخر، وذهب إلى القول بأنّ الاستعارات في القرآن كثيرة كقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴾[١]، قال: يريد ما يكون الذكر عنه شرفاً.

وقوله: ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ﴾[٢]، قال: وقيل: دين الله المراد. وقوله: ﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَـٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَـٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴾[٣]، قال: أي: استبدلوا"[٤].

(١) سورة الزخرف، الآية: ٤٤.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٦.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٣٨.

(٤) إعجاز القرآن، للباقلاني، ص: ٩٣.

ويُورد نماذج عديدة منها: لأمرئ القيس، وابن الدمينة، وزهير، وأبي تمام، والفرزدق، وسلم الخاسر، البحتري، والأعشى، ونصيب، وتأبط شراً ليوكد تفوق الاستعارة في القرآن على غيره إلى حدّ الإعجاز.

٣/ التشبيه[١]: عرض الباقلاني لجمال التشبيه في القرآن الكريم من خلال استعراض النماذج العالية لتشبيهات بلغاء العرب، وأمراء البيان، ولا سيما المبدعين منهم كامرئ القيس ليدلل على أن البلاغة من الإعجاز، فالقرآن جار على أساليب العرب ولكنه يعلو عليها علواً كبيراً، وهنا يكمن جانب من الإعجاز؛ فالقرآن لم يأتِ بفن بلاغي خارج لغة العرب وأساليبهم، بل جاءهم بما برعوا فيه براعة مشهودة، ولكنهم انهزموا حيال تحديه وانقلبوا صاغرين.

وأورد شواهد للتشبيه من القرآن الكريم[٢] كقوله تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ﴾[٣]، وقوله: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾[٤]، ويذهب الباقلاني إلى أنّ أعلى مراتب التشبيه ما كان فيه حسن تقسيم يقوم على تشبيه شيئين بشيئين[٥]، وهذا ما ذهب إليه جل البلاغيين من بعده وقالوا به[٦].

---

(١) الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، تحقيق: جماعة الأزهر الشريف، القاهرة، بدون تاريخ، ص:٢١٣. – الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة العلوي، القاهرة، ١٣٣٢هـ، ج١/٢٦٣.

(٢) إعجاز القرآن، للباقلاني، ص: ٩٠.

(٣) سورة الرحمن، الآية: ٢٤.

(٤) سورة الصافات، الآية: ٤٩.

(٥) إعجاز القرآن، ص: ٨٩.

(٦) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابن رشيق القيرواني، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، (ط٢)، القاهرة، سنة: ١٣٧٤هـ-١٩٥٥م، ج١/٢٩١.

٤/ الكناية[١] : وذكر الكناية باسم (الإرداف) وهو: ألا يسمى الشيء باسمه بل باسم يرادفه يدل عليه، يقول: "وسماها بعض أهل الصنعة باسم آخر، وجعلوها من باب الإرداف، وهو: أن يريد الشاعر دلالة على معنى فلا يأتي باللفظ الدال على ذلك المعنى بل بلفظ هو تابع له وردف، قالوا مثل: نؤوم الضحى[٢] لم تنتطق عن تفضل. وإنما أرادوا ترفها بقوله: نؤوم الضحى". وهو وإن لم يورد نماذج لها من القرآن إلا إنه يعتبرها من أدلة الإعجاز البلاغي، وأنّ الإعجاز البلاغي يتعلق بها.

٥/ الجناس[٣] : وقف الباقلاني طويلا عند الجناس، وذكر فيه نوعين، الأول: ما عرّفه بقوله: "أن يأتي بكلمتين متجانستين، فمنه ما تكون الكلمة تجانس الأخرى في تأليف حروفها، وإليه ذهب الخليل"[٤] ، وهذا ينطبق على كل الجناس؛ التام وغير التام، لأن التجانس في الحروف بين اللفظتين شرط أساس لصحة وجود الجناس. الثاني: عرفه بقوله: "أن تشترك اللفظتان على وجه الاشتقاق"[٥]، وهذا لا يختلف كثيراً عن الأول؛ فهذا التعريف يعتبر الأصل الاشتقاقي للفظتين المتجانستين؛ فلابد أن يكون واحداً، وهذا يردنا إلى تجانس الحروف في النوع الأول كأساس في وقوع الجناس.

والذي يعنينا هنا أنَّ الباقلاني ذكر هذه الآراء ليدلل على وجود الجناس في بلاغة القرآن، وأن القرآن تحدّى العرب، وأعجزهم بأساليبهم التي حازوا فيها قصب

---

(١) دلائل الإعجاز، ص:٥٢.

(٢) إعجاز القرآن، للباقلاني، ص: ٨٩.

(٣) أنوار الربيع في أنواع البديع، علي صدر الدين المدني، تحقيق: شاكر هادي شكر، النجف الأشرف، ١٣٨٨هـ. – ١٩٥٣م، ج١/٩٧.

(٤) إعجاز القرآن، للباقلاني، ص: ٩٧.

(٥) المصدر السابق، ص: ٩٧.

السبق، وأورد أمثلة من القرآن، كقوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ﴾[(١)]. الجناس بين (اقم: فعل أمر من القوامة - القيم: المعتدل)، وقوله: ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[(٢)]، الجناس بين (أسلمتُ: من اعتناق الإسلام -سليمان: النبي المعروف)، وقوله: ﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾[(٣)]، بين (أسف: من التحسر – يوسف: النبي المعروف). وقوله: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ﴾[(٤)]، بين (ينهون: من النهي – ينأون: من النأي والبُعد).

وتلك الآيات التي ذكرها الباقلاني تشمل النوعين المذكورين، ولم يخض في تفاصيل الجناس وأنواعه، وإنما أورده كدليل على عدم خروج أسلوب القرآن عن أساليب العرب، وإن كان قد أشار إلى مسألة مهمة، هي اعتماد التجانس بين اللفظين على الأصل الاشتقاقي، واختلافهما في الدلالة، وهذه مسألة يمكن مناقشتها باستقراء نماذج من الجناس في منظوم العرب ومنثورهم، وكلام النبي -ﷺ-، فضلاً عن القرآن الكريم.

كما عرض الباقلاني لشواهد من كلام النبي -ﷺ-، وكلام بعض صحابته رضوان الله عليهم، كقوله -ﷺ-: "أسلم سالمها الله، وغفار غفر الله لها، وعصّية عصت الله ورسوله". وكقوله: "الظلم ظلمات يوم القيامة"، وقول معاوية لابن عباس

(١) سورة الروم، الآية: ٤٣.

(٢) سورة النحل، الآية: ٤٤.

(٣) سورة يوسف، الآية: ٨٢.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ٢٦.

رضي الله عنهما: "ما بالكم يا بني هاشم تصابون في أبصاركم؟" فقال: "كما تصابون في بصائركم". ثم أورد طائفة من الشواهد الشعرية[1].

٦/ المقابلة[2]: وهي من المحسنات اللفظية، وعدّة بعض البلاغيين ضرب من الطباق، واشترطوا فيه الترتيب، وعليه فإن المقابلة من الأساليب البديعية التي وُجدت في كلام العرب، وقد أورد لها الباقلاني نماذج من أشعار العرب وقال: " ويعدون من البديع المقابلة، وهي أن يوفّق بين معانٍ ونظائرها، والمضاد بضده"[3]. ومثّل لذلك بقول النابغة الجعدي:

فَتىً تَمَّ فِيهِ مَا يَسرُّ عَلَى أنّ فِيهِ مَا يَسُوءُ الأعَادِيا

ثم أتى بشواهد من القرآن الكريم مثل قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴾[4].والمقابلة بين: (مسكم، تجأرون/كشف، يشركون).

وهو بهذا يدلل على عدم خروج القرآن على أساليب العرب، وأن البلاغة تمثل وجهاً في الإعجاز القرآني.

٧/ الطباق[5]: وهو من المحسنات اللفظية، وفن شائع في كلام العرب نظماً ونثراً، وقد تحدث الباقلاني عنه في سياق التدليل على الإعجاز البلاغي، والجدير بالذكر أنَّ الطباق لا يدخل في الإعجاز؛ فهو فن سهل وقد برع فيه كثير من الناس،

(١) إعجاز القرآن، للباقلاني، ص:٩٧-٩٨.

(٢) نهاية الإعجاز في دراية الإعجاز، فخر الدين الرازي، القاهرة، سنة ١٣١٧هـ، ص:١١١.

(٣) إعجاز القرآن للباقلاني، ص: ١٠٠.

(٤) سورة النحل، الآية: ٥٣-٥٤.

(٥) الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ج٢/٣٧٧.

ولكن الباقلاني ليس بصدد إثبات الإعجاز البلاغي به، وإنما قصد بيان أنَّ هذا القرآن الذي أعجز العرب، وتحداهم لم يأت بفنون وأساليب قولية تخالف ما عهدوه وجرتْ عليها سلائقهم اللغوية؛ بل جاءهم بما أجادوا فيه وتفوقوا، وأورد نماذج من القرآن الكريم، وكلام النبي -ﷺ- وأشعار العرب، يقول: "و يرون من البديع أيضا ما يسمونه المطابقة، وأكثرهم على أنَّ معناها: أن يُذكر الشيء وضده؛ كالليل والنهار، والسواد والبياض، وإليه ذهب الخليل بن أحمد، والأصمعي، ومن المتأخرين عبد الله بن المعتز"[١]، وبعد أن يستعرض شواهد لابن المعتز يذكر الباقلاني في مواجهتها آيات من القرآن كقوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[٢]، وقوله: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾[٣] وقوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ﴾[٤] ويقول: "ومثله كثير جداً كقول النبي -ﷺ- للأنصار: إنكم لتكثرون عند الفزع وتقلون عند الطمع"[٥] ويرى الباحث – مستضيئاً بآراء علماء البلاغة – أن كلام النبي -ﷺ- السابق أقرب إلى المقابلة، على أن التضاد بين (الفزع -الطمع) يقوم على التأويل والانتقال من معنى إلى معنى.

كما ذكر الباقلاني أنّ هناك نوعاً من الطباق يقوم على لفظ واحد يذكر بمعنى ثم يعاد ذكره بمعنى آخر، وقال: " وقال آخرون: بل المطابقة أن يشترك معنيان بلفظة

(١) إعجاز القرآن، للباقلاني، ص: ٩٥.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٧٩.

(٣) سورة الحج، الآية: ٦١.

(٤) سورة الروم، الآية: ١٩.

(٥) إعجاز القرآن، للباقلاني، ص: ٩٥.

واحدة ..."[١] ، ويرى الباحث أن هذا ينطبق على الجناس ، وعلى التام منه خاصة.
واستشهد الباقلاني ببعض أشعار العرب ، كقول الأفوه الأودي :

واقْطَعِ الهَوْجَلَ مُسْتَأنِسَاً بهَوْجَلٍ مُسْتَأنس عنْتَرِيْس

(الهوجل) الأولى : الأرض الصلبة ، والثانية : الناقة الصلبة العظيمة الخلقة
وكقول أبي داؤود :

عَهدتُ لها مَنْزِلاً دَاثِراً وآلا عَلَى المَاء يَحْمِلْنَ آلا

(آل) الأولى : أعمدة الخيام تنصب على البئر للسقي ، (آل) الثانية : السراب.

وتحدث كذلك عن التكافؤ ، وهو نوع من الطباق تكون في ألفاظ المجاز ، بشرط أن تكون الأضداد لموصوف واحد[٢] ، وأورد لها نماذج من كلام العرب ، دون أن يذكر لها شواهد من القرآن العظيم ، قال : "ومن البديع باب التكافؤ ، وذلك قريب من المطابقة كقول المنصو[٣] : لا تخرجوا من عزّ الطاعة إلى ذل المعصية"[٤] ، وهذا المثال يذكره البلاغيون في المقابلة. وتحدث عن طباق السلب والإيجاب[٥] ؛ وهما القسمان الرئيسان من أقسام الطباق ، ومع ورود الطباق في القرآن إلا أن الباقلاني اكتفى ببيت واحد للسموأل بن عادياء :

ونُنْكرُ إنْ شِئْنَا عَلَى النَّاسِ قَولَهم ولا يُنكِرون القَوْلَ حينَ نقُولُ

---

(١) المصدر السابق والصفحة.

(٢) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، ابن أبي الأصبع المصري، تحقيق: حفني محمد شرف، القاهرة، ١٣٨٣هـ، ص: ١١١.

(٣) هو الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور.

(٤) إعجاز القرآن، للباقلاني، ص: ١٠٦.

(٥) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، ص: ١١١-١١٤.

ويقول: "ومن البديع السلب والإيجاب كقول القائل"[١]، ويريد (بقول القائل) بيت السموأل.

٨/ السجع[٢]: تناول الباقلاني السجع في معرض بيانه للإعجاز البلاغي للقرآن، ونفى السجع عن القرآن. ولكنه أشار إلى السجع باعتباره قيمة بلاغية في كلام البشر.

والسجع من المحسنات اللفظية، وكلام العرب يحفل بهذا الضرب من المحسنات، ونجده في ضروب من خطبهم، ورسائلهم، ومقاماتهم، وقد ذكر الباقلاني بعض أقوال العلماء فيه، يقول: "قال أهل اللغة: هو موالاة الكلام على وزن واحد، وقال ابن دريد: سجعت الحمامة معناها رددت صوتها..."[٣].

وقد اتجه الباقلاني إلى بيان حقيقة السجع لينفيه عن القرآن الكريم، وقد تعمّق في بيان ما يجب أن يُطلق عليه سجعاً ليبرئ القرآن منه، وبذلك وقف على مسائل دقيقة في هذا اللون البديعي؛ فهو يرى أن هناك فرقا بين السجع وفواصل القرآن، وهو بذلك يشرح شروط السجع، وهي:

- ارتباط المعنى بالألفاظ المسجوعة[٤].

- ألا تختلف طرقه، وتتفاوت أوزانه[٥]. فذلك مستقبح؛ فأحسنه ما جاء متوازناً يجري على نسق موسيقى قد يطرد في كل النص، أو يتنوع في فقرات منه،

(١) إعجاز القرآن، للباقلاني، ص: ١٠٧.

(٢) البرهان في وجوه البيان، إسحق بن إبراهيم بن وهب الكاتب، تحقيق: أحمد مطلوب/ خديجة الحديثي، بغداد، سنة ١٣٧٨هـ – ١٩٦٧م، ص:٢٠٨.

(٣) إعجاز القرآن، للباقلاني، ص: ٧٧.

(٤) إعجاز القرآن، للباقلاني، ص: ٧٧.

(٥) المصدر السابق، والصفحة.

يقول: "السجع إذا تفاوتت أوزانه واختلفت طرقه كان قبيحاً في الكلام"[١]. والسجع متى خرج عن حد الاعتدال وتباعدت فواصله ومقاطعه، أو دنت وتلامست كان معيباً غير محمود، يقول: " وقد علمنا أن بعض ما يدعونه سجعاً متقارب الفواصل، متداني المقاطع، وبعضها مما يمتد حتى يتضاعف طوله عليه، وترد الفاصلة على ذلك الوزن الأول بعد كلام كثير، وهذا في السجع غير مرضي ولا محمود"[٢].

- ألا يضطرب فواصل السجع بين السجعتين فيخرج به عن السجع، وهذا عيب في هذه الصناعة، يقول: "وكذلك متى اضطرب أحد مصراعي الكلام المسجْع وتفاوت كان خبطاً"[٣].

- أن تكون الألفاظ خادمة للمعاني، بمعنى أن تكون للجملة المسجوعة معنى ومقصد، وأن تتحد الجملة المسجوعة مع رصيفاتها في إبراز الفكرة؛ فمجرد رصف الكلمات ذات المقاطع المتجانسة لا يكون سجعاً، يقول: "قد يكون الكلام على مثال السجع وإن لم يكن سجعا؛ لأن ما يكون به الكلام سجعاً يختص ببعض الوجوه دون بعض، لأن السجع من الكلام يتبع المعنى فيه اللفظ الذي يؤدي السجع"[٤].

- أن يأتي عفواً؛ فالسجع المتكلف مستقبح، وأبان أنه منهيّ عنه، ولا يقبل منه إلا ما جاء عفو الخاطر بقصد تحسين الكلام، وأورد قصة المرأة التي رمت حاملاً بحجر فقتلت جنينها في بطنها، ثم أردف قائلاً: "فرأى النبي -ﷺ- ذلك مذموماً لم يصح أن يكون في دلالته"[٥].

---

(١) المصدر السابق، والصفحة.

(٢) المصدر السابق، والصفحة.

(٣) المصدر السابق، والصفحة.

(٤) إعجاز القرآن، للباقلاني، ص: ٧٧.

(٥) المصدر السابق، والصفحة.

ويهدف الباقلاني من ذلك إلى التدليل على إعجاز البلاغي للقرآن ؛ فقد تحققت فيه تلك الشروط ؛ فجاءت فواصل القرآن بديعة رائعة حققت الارتباط المعنوي، والتوازن، وعدم الاضطراب، بينما نجد في كلام البشر كثيراً من الخلل والضعف في هذه الناحية.

٩/ الالتفات[١] : من الفنون البديعة السامية، وقد اختلف العلماء في تعريفه، وذكر الباقلاني أنه : مخاطبة الشاهد ثم تركه إلى مخاطبة الغائب[٢]، وهذا القول تفرع فيه العلماء.

وحشد الباقلاني للالتفات شواهد كثيرة من أشعار العرب، وآيات الذكر الحكيم، وأفاض في ذلك، وذكر قول جرير :

مَتَى كانَ الخيامُ بِذِي طُلوحٍ سُقيتِ الغَيثَ أيتُها الخِّيامُ

وعلّق على هذا البيت شارحاً من خلاله مفهوم الالتفات : "ومعنى الالتفات أنه اعتراض في الكلام ؛ فقوله : سقيت الغيث، ولو لم يعترض لم يكن ذلك التفاتاً، وكان الكلام منتظماً، وكان يقول : متى كان الخيام بذب طلوح أيتها الخيام، متى خرج عن الكلام الأول ثم رجع إليه على وجه يلطف كان ذلك التفاتاً"[٣]. ثم ذكر نماذج من القرآن ليدلل على وجود هذا الفن البلاغي في القرآن، وأنه لم يخرج عن أساليب العرب في كلامها، وذكر نظير ذلك من القرآن ما حكى الله تعالى عن إبراهيم الخليل من قوله تعالى : ﴿وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ

(١) الكشاف، جار الله الزمخشري، (ط٢)، القاهرة، ١٣٧٣هـ – ١٩٥٣م، ج١/١١ وما بعدها.

(٢) إعجاز القرآن، للباقلاني، ص: ١٠٨.

(٣) المصدر السابق، والصفحة.

إن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ إلى قولـه : ﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾(١).

١٠/ التذييل(٢) : وهو ضرب من الإطناب، يقع في علم المعاني، وهو تكرار المعنى بقصد التوكيد، وتعقيب الجملة بجملة أخرى تشتمل على معناها توكيداً لمنطوقها ولمفهومها، وقد ذكر الباقلاني شواهد من أشعار العرب والقرآن الكريم (٣)، منها قوله تعالى : ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾(٤). مشيرا إلى أن أسلوب القرآن حفل بأساليب البلاغة التي تفنن فيها العرب ومع ذلك أعجزهم وبزهم فيما تفوقوا وذاع فيه صيتهم.

١١/ الاستطراد(٥) : وهو من البديع الرائق، وقد وقف عنده علماء البلاغة طويلا، وأورد فيه الباقلاني نماذج من الشعر والنثر، والقرآن الكريم ليدلل على أن البلاغة القرآنية قد أعجزت أرباب البلاغة على الرغم من أنه لم يخرج عن أساليبهم، وقد ذكر قول أبي تمام :

صُبّ الفراقُ عَلَينا صُبّ مَنْ كُنا عَلَيهِ إسحقُ يومَ الرّوعِ مُنْتَقِمَا

---

(١) سورة العنكبوت، الآية: ١٦-٢٤.

(٢) الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ج٣/١١١.

(٣) إعجاز القرآن، للباقلاني، ص: ١١١.

(٤) سورة القصص، الآيات: ٤-٥.

(٥) أنوار الربيع في أنواع البديع، ج١/٢٢٨.

وذكر نظيره من القرآن: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِن دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾[١]. وقال: "كأنه كان المراد ان يجري بالقول الأول إلى الإخبار عن أن كل شيء يسجد لله عزّ وجل وإن كان ابتداء الكلام في أمر خاص"[٢].

١٢/ التوشيح[٣]: وهو من لطائف البديع، يقول الباقلاني: " ومن البديع عندهم التوشيح، وهو: أن يشيد أول البيت بقافيته، وأول الكلام بآخره"، ثم استشهد بقول البحتري:

فليس الذي حللّته بمحلل ولیس الذي حرّمته بحرام

وذكر شاهداً من القرآن الكريم: ﴿ فَمَن تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾ ﴾[٤] وتحدث الباقلاني عن التوشيح تحت مصطلح "رد عجز الكلام على صدره" وهذا مذهب ابن المعتز، وقد أفاض الباقلاني في إيراد الشواهد من أشعار العرب، ثم شواهد من القرآن الكريم كقوله عزّ وجلّ:

﴿ انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ

---

(١) سورة النحل، الآيات: ٤٨-٤٩.

(٢) إعجاز القرآن، للباقلاني، ص: ١١٢.

(٣) إعجاز القرآن، للباقلاني، ص: ١٠٣.

(٤) سورة المائدة، الآية: ٣٩.

تَفْضِيلًا﴾[١] و كقوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ﴾[٢] ، وذكر قول القائل:

وإنْ لَمْ يَكُن إلا تَعلّل ساعة قَلِيلَاً فَإنِّي نَافِعٌ لي قَلِيْلُها.

١٣ /صحة التقسيم[٣] : وهو استيفاء المتكلم أقسام المعنى، وقد استهلها الباقلاني بنماذج عديدة من أشعار العرب' وبشاهد من القرآن، يقول: "ومن البديع صحة التقسيم، ومن ذلك قول نصيب:

فَقَالَ فَرِيقُ القَومِ: لا، وفَرِيقُهم نعَم، وفَرِيقٌ قَالَ: وَيْحَكَ لا نَدْرِي

... ونحوه قول اله عز وجل: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾[٤].

وربط الباقلاني بين صحة التقسيم وجمال التشبيه، ويرى بلاغة التشبيه وذروة سنامه في تشبيه شيئين، ويوازن بين امرئ القيس – من المتقدمين – وبشار بن برد – من المحدثين – في قوليهما؛ يقول امرؤ القيس:

كأنَّ قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالي

يقول بشار:

كَأنَّ مّثارَ النَّقْعِ فَوقَ رُؤوسِهم وأسْيَافُنَا لَيلٌ تَهَاوَى كَواكِبُه

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٢١.

(٢) سورة طه، الآية: ٦١.

(٣) الإعجاز والإيجاز، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي، مكتبة القرآن – القاهرة، (ط١)، شرحه: إسكندر آفاق، ١٨٩٧م، ص:٢٤.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٥٧.

يقول: "واستبدعوا [يعنى امرؤ القيس] تشبيه شيئين بشيئين على حسن تقسيم، ويزعمون أن أحسن ما وجد في للمحدثين قول بشار ... وقد سبق امرؤ القيس إلى صحة التقسيم في التشبيه، ولم يتمكن بشار إلا من تشبيه إحدى الجملتين بالأخرى دون صحة التقسيم ..."[١].

١٤/ المساواة[٢]: وهي من المسائل الدقيقة في علم المعاني، تعتمد على رهافة الحس، والإحاطة بأسرار كلام العرب، وهي تأتي وسطا بين الإيجاز والإطناب، وقد أشار إليها الباقلاني في بيان وجوه الإعجاز البلاغي في القرآن، وقال: "ويعدون من البديع المساواة، وهي: أنّ تكون اللفظ مساوياً للمعنى لا يزيد عليه ولا ينقص عنه، وذلك يُعدّ من البلاغة"، واستشهد بقول زهير:

ومَهْمَا تَكُنْ عنْدَ امْرِئي مِنْ خَلِيقَةٍ وإنْ خَالَها تُخفَى عَلَى النَّاسِ تُعْلَم

ويرى أن نظير ذلك في القرآن كثير[٣].

١٥/ الإشارة[٤]: وهي من لطائف البلاغة في علم المعاني، وقد وقف عنده الباقلاني قائلا: "و مما يعدونه من البديع الإشارة، وهو: اشتمال اللفظ القليل على المعاني الكثيرة، وقال بعضهم في وصف البلاغة: لمحة دالة"، وذكر نماذج شعرية لبعض الشعراء، وأتى بشواهد من القرآن، مؤكدا على وجود الإشارة آيات كثيرة وأنها

(١) إعجاز القرآن، ص: ٨٩.

(٢) كتاب الصناعتين، ص: ١٧٩.

(٣) إعجاز القرآن، للباقلاني، ص: ١٠١.

(٤) كتاب الصناعتين، ص: ١٧٩.

جاءت في القرآن على أعلى مراتب البيان"[١] وذكر قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾[٢].

١٦ /التكرار[٣]: وهو ضرب من الإطناب، يرد في مباحث علم المعاني، ويأتي لأغراض متعددة؛ أشهرها التوكيد، وقال عنه الباقلاني: "ومن البديع عندهم التكرار"، وذكر قول الشاعر[٤]:

هَلَّا سَأَلت جُمُوعَ كِنْدة يـومَ ولّـوا أُينَ أينا

وقول آخر:

وكانتْ فزارةُ تُصلّى بنا فأوْلَى فَزَارة أولى

والاطناب أو التكرار من الأساليب البلاغية في كلام العرب، وقد تصرف فيه القرآن بدرجة عالية أعجزت العرب؛ فهي من الأساليب الأصيلة في القرآن، وبعد أن أورد الباقلاني نماذج من أشعار العرب قال: "ونظيره من القرآن كثير" وأورد قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾[٥]، وكالتكرار في قوله: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾[٦].

---

(١) إعجاز القرآن، للباقلاني، ص: ١٠٢.

(٢) سورة الرعد، الآية: ٣١.

(٣) مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح، ج٣/٢٠٩.

(٤) إعجاز القرآن، للباقلاني، ص: ١١٣.

(٥) سورة الانشراح، الآية: ٥-٦.

(٦) سورة الكافرون، الآيات: ١-٥.

١٧ / المبالغة [١] والغلو [٢] والإيغال [٣]: والمبالغة من المحسنات المعنوية في البديع، وقد ذكرها الباقلاني وأتى بنماذج من القرآن الكريم كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾[٤]، وقوله: ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾[٥]، وقوله: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ ﴿٨﴾﴾[٦]. واكتفى بشاهد من الشعر العربي:

وَنُكْرِمُ جَارَنَا مَا كَانَ فِيْنَا وَنتْبِعُه الكرَامةَ حَيْثُ مَالا

وعرض للغلو، وهو ضرب من المبالغة، يعمد إليه الأدباء طلباً للطرافة، ومنها المقبول والمردود، وقد أورد الباقلاني – كعادته -نماذج بديعة من أشعار العرب، ثم يشير إلى نماذج من الذكر الحكيم الذي عالج هذا الفن فجاء بديعاً باهراً معجزاً، وبعد أن أورد نخباً من الشواهد الشعرية أتبعها بآي من الذكر وتناول الإيغال ليدل على خلو القرآن منه، وهو لا يحسن إلا من الشعر، يقول: "ويرون من البديع الإيغال في الشعر خاصة؛ فلا يطلب مثله في القرآن ..."[٧]، وأتى بشواهد من الشعر.

١٨ / العكس[٨]: من الفنون البديعية التي تحسن متى أدت الجملتان المعكوستان المعكوستان معانٍ مغايرة، وقد وقف عنده الباقلاني قائلاً: "ومن ذلك العكس

---

(١) البرهان في وحوه البيان، ص: ١٥٣.

(٢) كتاب الصناعتين، ص: ٣٥٧.

(٣) أنوار الربيع في أنواع البديع، ج٣/٣٣٣.

(٤) سورة ق، الآية: ٣٠.

(٥) سورة الفرقان، الآية: ١٢.

(٦) سورة الملك، الآية: ٨.

(٧) إعجاز القرآن، للباقلاني، ص: ١٠٣.

(٨) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر بيان إعجاز القرآن، ص: ٣١٨.

والتبديل، كقول الحسن: إنَّ من خوّفك لتأمن خير ممن أمّنك لتخاف. وكقولهم: اللهم أغنني بالفقر إليك ولا تفقرني بالاستغناء عنك ..."[١]

والعكس والتبديل من الفنون البديعية المستحسنة التي يوظفها المتكلم لأداء معانيه دون زيادة، أو تلاعب بالألفاظ، وأورد له الباقلاني شواهد من شعر العرب، ومن القرآن الكريم[٢] منها قول القائل:

وإذا الـدرُّ زانّ حُسـنَ وُجُـوه كَـانَ للـدُّرِّ حسـنَ وجْهِـك زَيْنَـة

ويدخل في هذا الباب قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ﴾[٣].

المبحث الثالث: التحليل البلاغي لوجوه الإعجاز

عمل الباقلاني على تحليل وجوهاً من بلاغة القرآن، وتطبيقها على بعض آيات الذكر الحكيم، ليخلص إلى إثبات الإعجاز البلاغي للقرآن، ذلك في أسلوب حجاجي بذل فيه جهداً كبيراً، وبرهن من خلاله على وقوع الإعجاز البلاغي للقرآن، وتسفيه آراء المنكرين لهذه الحقيقة.

وقد وظّف وجوها من البلاغة التي أحصاها وناقشها مبيناً صلتها بالإعجاز، ومدى تعلُّق الإعجاز بها، وهو بهذا يجعل الدرس البلاغي أساساً مهماً في فهم الإعجاز، والوقوف عليه، وهذا يضع البلاغة في مقدمة العلوم الواجبة من الوجهة الشرعية؛ إذ أن العقيدة الإسلامية قائمة على كتابها الخالد – القرآن – الذي يحوي المعجزة الخالدة على مرّ الدهور، وتذوّق البلاغة وفهمها أمر في غاية الحيوية يحتّمه

(١) إعجاز القرآن، للباقلاني، ص: ١٠٧.

(٢) المصدر السابق والصفحة.

(٣) سورة لقمان، الآية: ٢٩.

استمرار الإعجاز، وبيانه للناس في كل حين؛ سواء من باب البيان والإيضاح، أو من باب الرد على المنكرين، ومثيري الشبهات.

١/ تنوع الأساليب البلاغية في عرض القصّة:

ينّوع القرآن عرض القصة الواحدة بأساليب عدة من الصياغة، وتركيب العبارات، وإيراد الصور البلاغية، وذلك لإبراز عجز العرب عن تحديه، والإتيان بمثله؛ فالقرآن حكى الأحداث وصورها بأساليب متنوعة ليختار من يريد التحدي الأسلوب الذي يقدر عليه؛ فعجزوا. وليبرهن على أنَّ القرآن جاء شاملاً لكل أنماط النظم، والصياغة العالية للغة فيكون أمام العرب مجالاً رحباً للمعارضة، ولكنهم مع ذلك لم يحاولوا مجرد المحاولة، وهذا أقوى في بيان عجزهم؛ إذ لم يحصرهم القرآن في طريقة واحدة، بل نوّع لهم الطرق، ومنحهم خيارات متعددة، ولكنهم أُسقط في أيديهم فظلت أعناقهم له خاضعين.

وذكر من الآيات قصة موسى -عليه السلام- عندما رأى ناراً: ﴿إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى﴾ [(١)] ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾[(٢)] ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾[(٣)] ثم قال الباقلاني: "قد تصرّف في وجوه وأتى بذكر القصة على ضروب ليعلمهم عجزهم عن جميع طرق ذلك"[(٤)].

---

(١) سورة طه، الآية: ١٠.

(٢) سورة النمل، الآية: ٧.

(٣) سورة القصص، الآية: ٢٩.

(٤) إعجاز القرآن، ص: ١٨٠.

الصياغة السليمة البارعة للأحداث لا يتفق للبشر، خاصة في إعادة صياغة الحدث بأكثر من أسلوب؛ فلا تسعفه بلاغته، ويقصر همته؛ فيحسن ويسيء، ويجمع أسمال إلى جانب أثواب العصب والحرير، يقول الباقلاني: "فإن كنت من أهل الصنعة فاعمد إلى قصة من هذه القصص، وحديث من هذه الأحاديث فعبّر عنه بعبارة من وجهتك، وأخبر عنه بألفاظ من عندك حتى ترى فيما جئت به النقص الظاهر، وتتبين في نظم القرآن الدليل الباهر، لذلك أعاد قصة موسى في سورة شتى، وفواصل مختلفة مع اتفاق المعنى"[(١)].

٢/ إيجاز عرض القصة:

هو إيجاز ليس في مُكنة البشر وما سواهم من الخلق؛ فإيجاز القرآن معجز. لما فيه من الإبانة، والإيضاح، والاستيفاء؛ بحيث تحمل الألفاظ طاقة كبيرة من المعاني والدلالات، وتصوّر المراد تصويراً شافيا يُغني السامع عن الإطناب والتطويل، وتكفيه مؤونة البحث والتأمل، وأعمال الفكر.

ولو حاول أحد من الناس أن يجاري إيجاز القصة في القرآن لوقع له الخلل، ولحاد عن التمام والإجادة إلى النقص، ولأعمل فكره وجهده ثم لم يظفر إلا بالنذر القليل مما يريد ويفوت عليه منه كثير، مع أن الكلام في العادة قد يفسده الاختصار؛ فلا يتضح المقصود فينفتح أبواب التأويل، وهذا عيب ومنقصة، ولكن الأمر ليس كذلك في القرآن، فالإيجاز فيه بديع معجز، مستوفٍ لعناصر القصة من حوار، وتشويق، ومتعة، وإثارة، وشخصيات، وأحداث، وتسلسل، ومقدمة وعقدة، وحل، وخاتمة، وفائدة.

---

(١) إعجاز القرآن، للباقلاني، ص: ١٨١.

ويضرب الباقلاني لذلك مثلاً بقصة سليمان -عليه السلام- والملكة بلقيس فيما يتعلق بإرسال الخطاب: ﴿ أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾[1] وقولها: ﴿ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴾[2] وقولهم رداً عليها: ﴿ قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴾[3]، وقولهم لها: ﴿ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾[4]، يقول الباقلاني معلقاً على هذا الجزء من القصة: " ثم إلى هذا الاختصار، وإلى البيان مع الإيجاز، فإن الكلام قد يفسده الاختصار، ويعميه التخفيف منه والإيجاز، وهذا مما يزيده الاختصار بسطاً لتمكنه ووقوعه، ويتضمن الإيجاز منه تصرفاً بتجاوز محله وموضعه"[5].

وهنا تتبين نقطة جوهرية في بيان الإعجاز القرآني في الإيجاز؛ فالإيجاز في القصة وسرد أحداثها يوقع – لا محالة – في التعمية والغموض ولا يعين على الفهم، ولكن القرآن أوجزها في وضوح بليغ، وضوح قائم على اختيار اللفظ، وجودة السبك، ووضع الفجوات المناسبة بين المشاهد.

---

(١) سورة النمل، الآية: ٣١.

(٢) سورة النمل، الآية: ٣٢.

(٣) سورة النمل، الآية: ٣٣.

(٤) سورة النمل، الآية: ٣٥.

(٥) إعجاز القرآن، للباقلاني، ص: ١٨٢.

٣/ قوة التأليف بين الألفاظ وبلاغة الكلمة المفردة:

أثبت الباقلاني من خلال الدراسة والتحليل للآيات القرآنية بلاغة الكلمة المفردة، وقوة السبك والتأليف بين ألفاظ القرآن في سياق الآية، وهي التي منحت القرآن إعجازاً بلاغياً رفيعاً، حار العرب حياله.

وذكر الباقلاني بعض النماذج، مثل قوله تعالى: ﴿فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ حُسۡبَانٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ﴾[١]. فألف بين الألفاظ الأربعة المتجانسة (الليل، النهار، الشمس، القمر)، يقول الباقلاني: "أنظر إلى هذه الكلمات الأربع التي ألف بينها، واحتجّ بها على ظهور قدرته، ونفاذ أمره، أليس كل كلمة منها عرّة؟ وبمنفردها درة؟ وهو مع ذلك يبين أنه يصدر عن علو الأمر، ونفاذ القهر، ويتجلى في بهجة القدرة، ويتحلى بخالصة العزة، ويجمع السلامة إلى الرصانة، والسلام إلى المتانة، والرونق الصافي، والبهاء الضافي ..."[٢]، ثم يذكر أنّ في الآية طباق بديع بين (الليل -النهار)، وبين (الشمس - القمر) مع الإيجاز اللطيف، والتمثيل، والتقريب، والتشكيل، والألفاظ غنية بالدلالات، وبالمعاني حتى أنّ "كل كلمة بنفسها تصلح أن تكون عين رسالة أو خطبة، أو وجه قصيدة، أو فقرة ..."[٣].

واستشهد كذلك بقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾[٤] وعلّق على هذه الآية بقوله: " فانظر إن شئت إلى شريف هذا

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٩٦.

(٢) إعجاز القرآن، للباقلاني، ص: ١٧٨.

(٣) المصدر السابق، ص: ١٧٩.

(٤) سورة الشورى، الآية: ٥٢.

النظم، وبديع هذا التأليف، وعظيم هذا الرصف، كل كلمة من هذه الآية تامة، وكل لفظ بديع ..."[١]. وهو في هذا النص يمتدح الألفاظ القرآنية، وبراعة تأليفها، وفصاحتها، وقوة دلالتها على المعاني، وهي ألفاظ لا تفاوت بينها، ولا ثقل، ولا خلل، ولا وحشية فلا تنبو عنها الأسماع. وهذا بلا شك يختلف عن تأليف كلام البشر، وما يقع فيه من التفاوت والضعف، والخلل.

ومن بديع نظم القرآن المعجز الانسجام التام بين ألفاظه فيما بينها من جهة، والانسجام بين عباراته من جهة أخرى؛ فترى التآلف بين مختلف الجمل التي قد تتنوع ولكنها لا تتنافر البتة، وهذا مكمن من مكامن الإعجاز، وسر من أسرار الإبداع البلاغي، وفيض من سحر الأسلوب القرآني الفذ.

وذكر قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾﴾[٢].

يرى الباقلاني أن هناك ائتلافا وانسجاما بين العبارة الأولى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ والعبارة الثانية ﴿صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ﴾؛ فالثانية تبييناً وتفسيراً للأولى، أما الثالثة فمباينة للأولى والثانية في تلك الناحية، ولكنها منسجمة معهما أشد الانسجام والائتلاف في بيان المقصد، وربط ذلك بمشيئة الله، وصيرورة الأمور إليه، يقول: " فانظر إلى هذه الكلمات الثلاث؛ فالكلمتان الأولتان مؤتلفتان، وقوله: ﴿أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾ كلمة منفصلة مباينة للأولى، قد صيرهما

(١) إعجاز القرآن، للباقلاني، ص: ١٧٧.

(٢) سورة الشورى، الآيات: ٥٢- ٥٣

شريف النظم أشد ائتلافا من الكلام المؤتلف، وألطف انتظاما من الحديث الملائم، وبهذا يبين فضل الكلام، وتظهر فصاحته وبلاغته"[١].

وموقع اللفظة في سياق الآية القرآنية لا مزيد عليها، ولا يحسن غيرها محلها؛ فهي تأتي متناهية الدقة في الدلالة، والائتلاف مع غيرها، حلوة الجرس الموسيقي، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾[٢] فكلمة (ليأخذوه) وقعت في موضعها بلاغةً ومعنىً، واتساقاً وتلاؤماً ما لا تقومه غيرها من مترادفاتها، يقول الباقلاني: "وهل تقع في الحسن موقع قوله: ليأخذوه كلمة؟ وهل تقوم مقامة في الجزالة لفظة؟ وهل يسد مسده في الأصالة نكتة؟ لو وُضع ذلك (ليقتلوه) أو (ليرجموه) أو (لينفوه) أو (ليطردوه) أو (ليهلكوه)، أو (ليذلوه)، ونحو هذا ما كان ذلك بعيدا، ولا بارعا، ولا عجيباً، ولا بالغاً"[٣].

وفي القرآن مراعاة فائقة الدقة للفصل والوصل، وفواتح الفقرات، إلى جانب التلاؤم والاتساق؛ فقد أورد الباقلاني لذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾[٤].

---

(١) إعجاز القرآن، للباقلاني، ص: ١٧٨.

(٢) سورة غافر، الآية: ٥.

(٣) إعجاز القرآن، للباقلاني، ص: ١٧٨.

(٤) سورة الشعراء، الآيات: ١٩٢-١٩٥.

يرى أننا نجد في كل آية فاتحة وفصل، وكل معنى تسلمك إلى الآخر في وضوح، ثم وَصَلَ ذلك بهذه الآية: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ ﴾[1].

٤ /ائتلاف المختلف في السياق القرآني:

وهذا من عجيب النظم القرآني البديع أن الآية قد تجمع المتناقضات لفظاً ومعنى حسب السياق الذي ترد فيه؛ فلا ترى تبايناً، ولا تحس تنافراً، ويأتي الكلام – في مجمله – مؤتلفاً متناغماً، وأورد الباقلاني قوله تعالى: ﴿ حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٢﴾ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾ ﴾[2] هذه الآية ذكرت أسماء الله وصفاته، وجمع بين التوبة والعقاب والوحدانية.

٥/ بلاغة الخروج:

هي من أدق النكت البلاغية التي جاءت في القرآن الكريم بديعة لطيفة، مثّل لها الباقلاني بقوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[3]، ويرى الباقلاني أنّ هذا ومثله في القرآن يمثل خروجاً ناعماً بعبرّ عن البراعة والعجب، لا يتفق للبشر مثله، وهذا الخروج لو كان في غير القرآن لكان في صورة المنقطع[4].

---

(١) سورة الشعراء، الآيات: ٢١٤-٢١٥.

(٢) سورة غافر، الآيات: ١-٣.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٤.

(٤) إعجاز القرآن، للباقلاني، ص: ٢٠٠.

٦/ الإيجاز البديع :

وهو من فضائل لغة العرب، ونسيج أصيل في بلاغتهم؛ فاعتدوا به، وقد خاطبهم الله تعالى في القرآن بذلك مراعاة لمقامهم وحظهم من اللغة وفهمها.

والإيجاز يطرد في معظم القرآن الكريم، وهو إيجاز معجز لا طاقة للبشر في مجاراته ناهيك عن بلوغ شأوه، يقول الباقلاني في قوله تعالى: ﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ﴾[١] يقول: "... بكلمات قليلة في العدد، كثيرة الفوائد لا يمكن شرحها إلا بالتفعيل الكثير والكلام الطويل"[٢].

المبحث الرابع: ما يتعلق به الإعجاز من وجوه البلاغة

وقف الباقلاني على بعض الوجوه البلاغية التي حددها باعتبار تعلق الإعجاز بها، وإمكان تحققه فيها، وذكر من ذلك عشرة أقسام من البلاغة، يقول: " ذكر أهل الأدب والكلام أنّ البلاغة عشرة أقسام: التشبيه، والاستعارة، والإيجاز، والتلاؤم، والفواصل، والتجانس، والتصريف، والتضمين، والمبالغة، وحسن البيان"[٣].

ويرى أنّ العلوم البلاغية على مراتب في دلالتها على الإعجاز، فما يمكن إدراكه بالتعلم والاجتهاد لا سبيل إلى معرفة الإعجاز به، وما لا سبيل إلى تعلمه والاجتهاد فيه فتلك تدل على الإعجاز[٤] ويشرح ذلك من خلال عرضه لهذه الأنواع:

١/التشبيه: عقد على أنّ أحد الشيئين يسد مسد الآخر في حس أو عقل[٥] أي حسيّ أو معنوي، وضرب لذلك أمثلة كثيرة متنوعة كقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ

(١) سورة الإسراء، الآية: ٧.

(٢) إعجاز القرآن، للباقلاني، ص: ٢٠٠.

(٣) إعجاز القرآن، ص: ٢٣٩.

(٤) المصدر السابق، ص: ٢٤٦.

(٥) المصدر السابق، ص: ٤٢٠.

أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾[١] وهذا من قبيل تشبيه المعنوي بمحسوس ،وكقوله تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡمُنشَـَٔاتُ فِي ٱلۡبَحۡرِ كَٱلۡأَعۡلَٰمِ﴾[٢] ، وهو من قبيل تشبيه حسي بحسي . ويذهب الباقلاني إلى أن التشبيه يمكن تعلمه، وقد أبدع فيه بعض الشعراء كابن المعتز[٣]فيرى أنّ الإعجاز في تشبيهات القرآن لا ترجع لمجرد التشبيه، وإنما لطريقة نظمه، يقول: "فأما الآية التي فيها ذكر التشبيه فإن ادعى إعجازها لألفاظها، ونظمها، وتأليفها فإني لا أدفع ذلك وأصححه، ولكن لا ادّعى إعجازها لموضع التشبيه"[٤].

٢/ الاستعارة: يقول عنها هي: "بيان التشبيه"[٥]، وهذا تعريف في غاية الإيجاز الإيجاز لا ينهض بهذا العلم، ولا يلقي عليه ضوءاً، وإن كان يريد بـ (بيان) إخفاء التشبيه؛ إلا إنه قول موجز لا يخلو من خفاء، ويأتي بأمثلة كثيرة متنوعة، منها قوله تعالى: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾[٦]، وهو من باب الاستعارة المكنية، حيث شبه ما أُمر به النبي -ﷺ- وهو تبليغ الرسالة بزجاجة، ووجه الشبه هو: أنّ الزجاجة إذا كسرت لا تعود كما كانت، وكذا العرب لن يعودوا بعد الإسلام كما كانوا في جاهليتهم، ويرى الباقلاني أن الاستعارة مما يتعلق الإعجاز بها، وهي تصلح مادة لبيان الإعجاز، وخصّ منها الاستعارة البديعة، وكل استعارات القرآن على

(١) سورة النور، الآية: ٣٩.

(٢) سورة الرحمن، الآية: ٢٤.

(٣) إعجاز القرآن، للباقلاني، ص: ٢٤٧.

(٤) المصدر السابق والصفحة.

(٥) إعجاز القرآن، ص: ٢٤١.

(٦) سورة الحجر، الآية: ٩٤.

درجة عالية من الإبداع والحسن كقوله تعالى: ﴿ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴾[١]، وهذه استعارة مكنية شبه الصبح بكائن حيّ، ووجه الشبه هو النشاط الذي يدب في الصباح حين يتحرك الناس وينشطون للعمل والسعي كالنشاط الذي يدب في جسم الإنسان يتنفس بعد اختناق، وكقوله تعالى: ﴿ وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ ﴾[٢]، ونحو ذلك، يقول الباقلاني: " و التصرف في الاستعارة البديعة يصلح أن يتعلق به الإعجاز"[٣].

٣/ الإيجاز: الإيجاز عند الباقلاني هو أن تأتي باللفظ القليل الشامل لأمور كثيرة، دون إخلال باللفظ والمعنى[٤]، وقسمه إلى:

أ - إيجاز حذف: وهو اسقاط بعض الكلمات للتخفيف[٥] كقوله تعالى: ﴿ وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ ﴾[٦]، أي: أهل القرية، على حذف المضاف، وقوله تعالى: ﴿وَلَوۡ أَنَّ قُرۡءَانٗا سُيِّرَتۡ بِهِ ٱلۡجِبَالُ أَوۡ قُطِّعَتۡ بِهِ ٱلۡأَرۡضُ أَوۡ كُلِّمَ بِهِ ٱلۡمَوۡتَىٰۗ ﴾[٧]، أي: (لكان هذا القرآن)، على حذف جملة الجزاء. والله أعلم.

ويقول الباقلاني: "والحذف أبلغ من الذكر؛ لأن النفس تذهب كل مذهب في القصد من الجواب"[٨]، وهو ما اصطلح عليه المتأخرون بإفادة التعميم.

---

(١) سورة التكوير، الآية: ١٨.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ١٨.

(٣) إعجاز القرآن، ص: ٢٥٣.

(٤) المصدر السابق، ص: ٢٣٩.

(٥) المصدر السابق، والصفحة.

(٦) سورة يوسف، الآية: ٨٢.

(٧) سورة الرعد، الآية: ٣١.

(٨) إعجاز القرآن، للباقلاني، ص: ٢٣٩.

ب - إيجاز قصر: يقصد بذلك أسلوب القصر[١] الذي يقوم أساساً على الإيجاز، والإيجاز أحد أعمدة بلاغة القصر، وهو من الأساليب الجليلة في البيان العربي، أورد له الباقلاني بعض الأمثلة، كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغۡيُكُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۖ﴾[٢]، على طريقة القصر بإنما، وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهۡلِهِۦۚ﴾[٣]، على طريقة النفي والاستثناء.

ويفرق بين الإطناب والتطويل، ويرى في الإطناب بلاغة، وفي التطويل عيّ[٤]، وللإطناب مواضع بلاغية لا يحسن فيها الإيجاز، كما للإيجاز مواطن لا يصلح يصلح لها الإطناب.

ويذهب الباقلاني إلى القول بأن الإيجاز يتعلّق به الإعجاز؛ فهو يدل عليه، يقول: "أما الإيجاز والبسط فيصبح أن يتعلق بهما إعجاز، كما يتعلق بالحقائق، والاستعارة ... ولا يمكن التوصل إلى ساحب بحره بالمتعلم، ولا يُتطرق إلى غرره بالتسبب"[٥].

٤/ التلاؤم[٦]: وهو عنده: تعديل الحروف في التأليف، وهو نقيض التنافر[٧]، التنافر[٧]، وللتلاؤم فضيلة؛ فهي تحسّن الكلام في السمع، ويوقع المعنى في القلب.

---

(١) انظر على سبيل المثال: مفتاح العلوم، ص:٣٨. – دلائل الإعجاز، ص: ٢٥٢.

(٢) سورة يونس، الآية: ٢٣.

(٣) سورة فاطر، الآية: ٤٣.

(٤) إعجاز القرآن، للباقلاني، ص: ٢٤٠.

(٥) إعجاز القرآن، للباقلاني، ص: ٢٥٣.

(٦) النكت في إعجاز القرآن، أبو الحسن علي بن عيسى الرماني، دار المعارف، القاهرة، بدون تاريخ، ص:٨٨.

(٧) إعجاز القرآن، للباقلاني، ص: ٢٤٣.

ويقسم التلاؤم إلى ضربين: الطبقة الوسطى؛ ويختص بكلام البلغاء وهي على درجات. والطبقة العليا؛ ويختص بالقرآن كله والقرآن متسق، وعلى درجة من الانسجام والتلاؤم. ويقرر الباقلاني أن التلاؤم يتعلق به الإعجاز متى جاء على حسن البيان، يقول: "فإذا انضاف إلى التلاؤم حسن البيان، وصحة البرهان في أعلى الطبقات، ظهر الإعجاز لمن كان جيّد الطبع، وبصيراً بجوزة الكلام"[١].

٥/ الفواصل[٢]: هي حروف متشاكلة في المقاطع، يقع بها إفهام المعاني، وفيها بلاغة[٣] وهي – عنده - أرفع من الأسجاع، ومن القوافي؛ فالسجع يتبع المعنى، وهو كقول مسيلمة الكذاب، وكهان الجاهلية، والفواصل وصف لآيات القرآن، وقد تقع على حروف متجانسة، كما تقع على حروف متقاربة، ولا تحتمل القوافي ما تحتمل الفواصل "لأنها ليست في الطبقة العليا في البلاغة"[٤]. والفواصل يتعلق بها الإعجاز، يقول: " أما الفواصل فقد بينّا أنه يصح أن يتعلق بها الإعجاز"[٥].

٦/ التجانس: وهو بيان أنواع الكلام الذي يجمعه أصل واحد[٦]، والتجانس عنده على ضربين:

---

(١) المصدر السابق، ص: ٢٤٤.

(٢) انظر: معاني القرآن، يحيى بن زياد الفراء، القاهرة، ١٣٧٤هـ – ١٩٥٥م، ج٣/٢٣١ – النكت في إعجاز القرآن، ص: ٨٩.

(٣) إعجاز القرآن، ص: ٢٤٤.

(٤) المصدر السابق، ص: ٢٤٤.

(٥) المصدر السابق، ص: ٢٥٣.

(٦) المصدر السابق، ص: ٢٤٤.

أ - مزاوجة[١]: وأورد لها بعض النماذج، منها قوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾[٢]. سمّى رد العدوان اعتداءً، وكقوله تعالى: ﴿وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾[٣]، سمى مجازاة الله لهم مكراً.

ب - مناسبة: وهي الجناس المعروف، واستشهد بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم﴾[٤]، وكقوله: ﴿وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ﴾[٥]. ويقول الباقلاني أنّ التجنيس لا يتعلق به الإعجاز؛ لأنه يمكن تعلمه، والبراعة فيه، وقد ذهب فيه بعض الشعراء مذاهب البراعة والإتقان كأبي تمام والبحتري، يقول: " ولذلك قلنا إنّ السجع مما ليس يُلتمس فيه الإعجاز ... كذلك التجنيس"[٦].

٧/ التصريف[٧]: هو تصريف الكلام في المعاني؛ كتصريفه في الدلالات المختلفة[٨]، ويعنى بتصريف الكلام في المعاني بتغيير الصيغة الصرفية للكلمة حسب مقتضيات المعنى كتصريف (ملك)، ملكوت، مملوك، ونحو ذلك. أما تصريف المعاني

---

(١) أنظر: نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، ص: ١١١ – البديع، لابن المعتز، ص: ٤٠١.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٩٤.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٥٤.

(٤) سورة التوبة، الآية: ١٢٧.

(٥) سورة النور، الآية: ٣٧.

(٦) إعجاز القرآن، للباقلاني، ص: ٢٥٤.

(٧) انظر: تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، ص:٥٨٢.

(٨) إعجاز القرآن، للباقلاني، ص: ٢٤٥.

في الدلالات المختلفة كتكرار بعض القصص القرآنية، كقصة موسى -عليه السلام-، وآدم -عليه السلام-.

٨/التضمين[١]: هو حصول معنى فيه من غير ذكر له باسم أو صفة هي عبارة عنه[٢]، ويأتي التضمين عند الباقلاني على ضربين:

أ - تضمين توجيه البنية: وهو ذكر أمر يستدعي أمر آخر، كقولنا: معلوم يستدعي وجود (عالم)، ونحو هذا.

ب - تضمين يوجبه معنى العبارة من حيث لا يصلح إلا به؛ فكلمة (ضارب) الذي يدل على (مضروب).

وتكمن بلاغة التضمين في الإيجاز، وذكر الباقلاني أن (بسم الله الرحمن الرحيم). من باب التضمين؛ لأنه متضمن تعليم الاستفتاح في الأمور باسمه على جهة التعظيم لله تعالى، والتبُّرك باسمه[٣]. والتضمين عنده مما يتعلق به الإعجاز، يقول: " وتضمين المعاني أيضاً قد يتعلق به الإعجاز، إذا حصلت للعبارة طريق البلاغة في أعلى درجتها"[٤].

٩/ المبالغة: هي – عنده – الدلالة على كثرة المعنى[٥]، وهي على ضربين:

أ - مبالغة في الصفة المبنية؛ كقولنا (غفّار) و(فعال) ونحو هذا.

ب - مبالغة في اللفظ التي هي صفة عامة، كقوله تعالى: ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾[١].

---

(١) مفتاح العلوم، ص:٢٧٣.

(٢) إعجاز القرآن، للباقلاني، ص: ٢٤٥.

(٣) إعجاز القرآن، للباقلاني، ص: ٢٤٥.

(٤) المصدر السابق، ص: ٢٥٣.

(٥) المصدر السابق، ص: ٢٤٥.

والمبالغة في اللفظ عند الباقلاني لا يتضمن الإعجاز بوجه من الوجوه، ولكن الإعجاز يتعلق بالمبالغة في المعنى والصفة، يقول: " وما حكينا عن صاحب الكلام من المبالغة في اللفظ؛ فليس ذاك بطريق الإعجاز لأن الوجوه التي ذكرها قد تتفق في كلام غيره وليس ذلك بمعجز، بل قد يصلح أن يقع في المبالغة في المعنى والصفة"[٢].

١٠/ حسن البيان[٣]: ذكر الباقلاني أن الإعجاز يتعلق بحسن البيان، يقول: " ومن تلك الوجوه ما قد بيّنا أن الإعجاز يتعلق به لحسن البيان ... فالقرآن أعلى منازل البيان"[٤]، والبيان عنده على أربعة أقسام: كلام، وحال، وإشارة، وعلامة، وهي تأتي على مراتب، وتقع بينها التفاضل في البيان[٥].

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٤٠.

(٢) إعجاز القرآن، للباقلاني، ص: ٢٥٣.

(٣) بديع القرآن، ابن أبي الإصبع المصري، تحقيق: حفني محمد شريف، القاهرة، سنة ١٣٧٧هـ – ١٩٧٧م، ص:٢٠٤.

(٤) إعجاز القرآن، للباقلاني، ص: ٢٤٧-٢٤٨.

(٥) المصدر السابق، ص:٢٤٦.

خاتمة

بعد العرض السابق لمنهج الباقلاني في مناقشة قضية الإعجاز توصّلت الدراسة إلى النتائج التالية:

١ - اعتمد الباقلاني على منهج مباينة أسلوب القرآن لأساليب البشر في بيان الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم، وقد أشار إلى أنَّ التفاوت في الأسلوب بين الضعف والقوة، والإساءة والإحسان من سمات بلاغة البشر، بينما أسلوب القرآن متسق، متماسك لا تفاوت فيه ولا اختلاف.

٢ - دلل الباقلاني على الإعجاز البلاغي في القرآن من واقع استعراض الشواهد القرآنية وبسطها ومناقشتها من خلال بعض المباحث البلاغية، وقد أبدى العديد من الآراء والملحوظات البلاغية، وأصدر كثيراً من الأحكام التي أثرتْ الدرس البلاغي.

٣ - أوضح الباقلاني أن معظم الأنواع البلاغية يتعلّق بها الإعجاز، وأن القليل منها لا يتعلق الإعجاز بها؛ كبعض الفنون البديعية مثل الجناس؛ لأنه يمكن أن يتعلمه البشر بسهولة، ويحسنون فيه.

٤ - أسلوب القرآن لم يخرج عن أساليب البشر في تناول المسائل البلاغية، ومع ذلك فقد تحداهم وأعجزهم بما كانوا متفوقين فيه، وهذا مما تجعل المعجزة البلاغية قوية ماثلة.

٥ - استطاع الباقلاني أن يغني البحث البلاغي من خلال آرائه البلاغية، وشواهده، ومناقشاته، والحدود التي وضعها لبعض مباحث البلاغة.

فهرس المصادر والمراجع

[١] إعجاز القرآن، أبو بكر الباقلاني، طبعة عالم الكتب، بيروت، (ط١)، سنة ١٩٨٨م.

[٢] الإعجاز والإيجاز، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي، مكتبة القرآن - القاهرة، (ط١)، مشرحة: إسكندر آفاق، سنة ١٨٩٧م.

[٣] أنوار الربيع في أنواع البديع، على صدر الدين المدني، تحقيق: شاكر هادي شكر، النجف الأشرف، سنة: ١٣٨٨هـ -١٩٥٣م.

[٤] الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، تحقيق: جماعة الأزهر الشريف، القاهرة، بدون تاريخ.

[٥] البديع، عبد الله بن المعتز، طبعة كراتشكو فسكي، لندن، سنة: ١٩٣٥م.

[٦] بديع القرآن، ابن أبي الإصبع المصري، تحقيق: حفني محمد شريف، القاهرة، سنة ١٣٧٧هـ -١٩٧٧م.

[٧] البرهان في وجوه البيان، إسحق بن إبراهيم بن وهب الكاتب، تحقيق: أحمد مطلوب/خديجة الحديثي، بغداد، سنة ١٣٨٧ه -١٩٦٧م.

[٨] تحرير التجبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، ابن أبي الأصبع المصري، تحقيق، حفني محمد شرف، القاهرة، سنة: ١٣٨٣هـ.

[٩] دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمد رشيد رضا، (ط٥)، القاهرة، سنة: ١٣٧٢هـ.

[١٠] الطرّاز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحي بن حمزة العلوي، القاهرة، سنة: ١٣٣٢هـ -١٩١٤م.

[١١] العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابن رشيق القيرواني، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، (ط٢)، القاهرة، سنة: ١٣٧٤هـ -١٩٥٥م.

[١٢] كتاب الصناعتين، أوب هلال العسكري، تحقيق: عادل محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، سنة: ١٣٧١هـ -١٩٥٢م.

[١٣] الكشاف، جار الله الزمخشري، (ط٢)، القاهرة، سنة: ١٣٧٧٣هـ -١٩٥٣م.

[١٤] معاني القرآن، يحيى بن زياد الفراء، القاهرة، سنة ١٣٧٤هـ -١٩٩٥م.

[١٥] المعجزة والإعجاز في القرآن الكريم، د. سعد الدين السيد صالح، طبعة دار المعارف، مصر، بدون تاريخ.

[١٦] مفتاح العلوم، أبو يعقوب يوسف السكاكي، القاهرة، سنة: ١٣٥٦هـ - ١٩٣٧م.

[١٧] مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح، ابن يعقوب المغربي (شروح التلخيص).

[١٨] النكت في إعجاز القرآن، أبو الحسن علي بن عسى الرماني، دار المعارف - القاهرة، بدون تاريخ.

[١٩] نهاية الإعجاز في دراية الإعجاز، فخر الدين الرازي، القاهرة، سنة ١٣١٧هـ.

AL- Baqlani,s Methodology in the study of the Rhetorical Miracle of the Holy Qur'an through his book (Miracle of the Holy Qur'an)

Dr.EL Nourani Abdelkareem Kabour Gubeir

Associate Professor of Literature, Criticism and Rhetoric
in the Department of Arabic Language and Literature –
Faculty of Arabic Language and social studies – Qassim University – Saudi Arabia.

Abstract: And work Albaqlani to the statement of the foundations upon which the rhetoric Qur'an in defiance of the Arabs and Aajazhm, and are the pillars clearly testify to the high rhetoric of the Arab Science and show their relevance in a statement timeless holy book of God miracle, and through it to stop on many rhetorical species, and subjected her explanation and analysis, Spiga by a flood of knowledge, and Glimpses of his thought; he put his daughters in the building of the rhetoric. This research aims to clarify the approach in hiring Albaqlani lesson in the study of rhetorical eloquence of the Qur'an, and his style statement in the detection of rhetorical miracles through applied his models, and his discussion of substantive, and mental Astdalalath, and other evidence put forward in this area. And research work on the processing method Albaqlani in his study of the rhetorical miracles of the Qur'an.

Search and wonder: Was approach Albaqlani a scientific approach led him to the outcome of its value in this aspect, and is achieved what he aspired to prove rhetorical question of miracles, and to respond to those who raise suspicions about the Koran and likeness? . And researcher followed the descriptive method of inductive and analytical, and research is divided into sections according to the needs study, and relied on sources and relevant research topic references, has pointed to in place at the end of the study.